

# القرآن الكريم.. معين العلوم الكونية



د. محمد جميل الجبال \*

• استشاري باطنية وباحث في الإعجاز  
الطبي والعلمي  
في القرآن الكريم والسنة المظهرة  
مستشفى الملك فهد التخصصي -  
الدمام - المملكة العربية السعودية

ان الناظر في كتب السلف من المفسرين رحمهم الله يجد أن آيات العلوم الطبية والكونية لم تفل ما تستحقه من عنايتهم بالقياس إلى آيات الأحكام الفقهية، وهم معذورون في ذلك لعدم توافر الوسائل والتقنيات العلمية الحديثة لديهم والموجودة في هذا العصر، والتي أصبح من الممكن حالياً الإفادة منها وصولاً إلى الهدف المذكور.

إن القرآن العظيم كنز للعلوم والمعرفة. ومعين لا ينضب يهدي العلماء - كلاً حسب اختصاصه الدقيق - إلى أبحاث جديدة، ويحقق في حالة توظيف إشاراته العلمية بصورة صحيحة (إذا أحسن فهمها ودراستها بدقة) لخدمة المعرفة والتقدم العلمي في الحاضر والمستقبل. وصولاً لخير البشرية وسعادتها وتحقيقها لمبدأ الاستخلاف (التسخير) لها في الأرض كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠).

## الناصية تتخذ فيها القرارات وتصنع فيها الأفكار

أي بالقرآن، وقيل بالإسلام وروحه القرآن أيضاً.. فقد كان بيد موسى وأخيه هارون عليهما السلام من الآيات ما يفعل الأعاجيب ويقلب الموازين كالعصا مثلاً. غير إن العصا مخلوقة واعجازها من خارجها، كما أن إعجازها اتقضى بموت موسى ﷺ.

وأما القرآن فإنه كلام الله تعالى واعجازه في ذاته، كما أن معجزاته لم تقطع بموت النبي ﷺ بل حفظها الله تعالى للمسلمين إلى قيام الساعة، ولكن المسلم يحتاج إلى تدير وبحث ومجاهدة بحيث أن الإعجاز المكنون في الآيات يظهر جلياً على أيدي المسلمين.

ولتضرب مثلاً لتوضيح المقصود وذلك في قوله عز وجل: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق: ١٥-١٦)

السفع لغة: هو القبض على الشيء وجذبه بشدة كما ذكره المفسرون. وأما الناصية فمقدمة الرأس كما ذكر الفراء رحمه الله تعالى، وهو لفظ يدل بأصله على علو في الشيء كما يفهم من الشواهد في اللغة العربية. والمنوقع في العربية أن الشيء الذي يوصف بالكذب هو الإنسان بجملته أو كلامه أو كتابته أو فعله. وكذلك الخطيئة هي وصف للنفس أو الفعل.

وأما أجزاء الجسد كالناصية أو الكنف أو الذراع أو الفخذ وغيرها فهل يوصف بعضها حقيقة بالكذب والخطيئة أم هو مجازاً؟. والمجاز له طرق منها: إطلاق

والإفساد من معطيات العلم والطب الحديثين والتكنولوجيا المتطورة لتحقيق ذلك. وتحقيق السبق العلمي في القرآن والسنة اللذين جاءا لهداية البشرية وسعادتها في كافة المجالات. ومنها تشجيع العلم والبحث العلمي.

إن المشير للقرآن قد يستنبط منه أمور لم يصل إليها العلم التجريبي بعد. فبأخذها المسلم من القرآن الكريم. ويبنى عليها البحوث والدراسات التجريبية. ويسبق الناس إلى كشف علمية جديدة قد تكون في غاية الأهمية والفائدة للبشرية والنصر للأمة الإسلامية! قال سبحانه وتعالى: ﴿بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبَعَكُمْ أَلْغَابُونَ﴾ (القصص: ٣٥)

فأعظم أسباب النصر هو أن يكون بأيدي المؤمنين آيات الله القوي العزيز. ينتفعون منها بحسب عنايتهم بها واتباعهم لها. ولذلك لم يكن غريباً أن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن المكي: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

فالقرآن الكريم كما أنه يهدي إلى العقيدة الصحيحة، وإلى الشعائر الخالصة، والشرائع القويمية، والأخلاق الفاضلة، فهو يهدي أيضاً إلى الحقائق الكونية في كافة الآفاق، ويعطينا الخطوط العريضة، والإشارات الأساس في هذه العلوم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

فمن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: (من أراد العلم فليثور القرآن! فإن فيه علم الأولين والآخرين).

ويقول الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن): (إن كتاب الله العزيز قد اشتمل على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها).

ويقول الإمام الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن): (من كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه في علوم القرآن أكثر).

فينبغي علينا توظيف الإشارات الطيبة والعلمية الواردة في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونقلها من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي العملي (من الإعجاز إلى الانجاز ومن التوصيف إلى التوظيف!).





والحقيقة التي لا يشك فيها الأطباء اليوم هي أن الناصية تضم مقدمة الفص الأمامي للدماغ (Prefrontal area) وهو الجزء الذي تتخذ فيه القرارات وتصنع فيه الأفكار من صدق وكذب وخطيئة وغير ذلك، كما في الشكل رقم (١).

أما اللسان واليد والرجل فمجرد أدوات تتحرك بما تم صنعه وتقديره في ذلك الجزء من الدماغ. فلاشك أن الناصية أولى من اللسان بأن توصف بأنها كاذبة وكذلك الأمر في وصفها بأنها خاطئة. وقد تم اكتشاف ذلك في الطب بعد بحوث تجريبية ودراسات كثيرة عن وظائف الدماغ منها التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (f-MRI)، فعندما يمارس الشخص الكذب يؤثر ذلك واضحا في هذه المنطقة الأمامية من الدماغ. كما يظهر ذلك في الشكل رقم (٢) أدناه.

علما أن الأطباء في الغرب لم يكن عندهم إشارات دينية فتش لهم بداية البحث،

Breifrontal  
area



الشكل رقم (١) : صورة جانبية للدماغ تبين مقدمة الفص الأمامي (الناصية) Prefrontal area

## القرآن فيه إشارات علمية ويهدي إلى أبحاث جديدة

اسم البعض على الكل، فقالوا: الوصف بالكذب والخطيئة ليس للناصية نفسها ولكن لصاحبها<sup>(١)</sup>... ويحتاج المفسرون بان المجاز وجه لتفسير الآية، لأن القرآن الكريم خاطب العرب بما يمكن تأويله حسب ما عندهم من العلم، واستعملوا المجاز مع قرنيه لفظية أو دلالة حال أو أدلة عقل<sup>(٢)</sup>، ويمكن التعبير بالناصية أو الوجه عن الإنسان بجملة في نحو هذا السياق لأن الناصية أرفع شيء في الإنسان<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة يطلق فيها اسم الجزء ولكن المراد هو الكل كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ﴾ (المجادلة: ٣) فعبر بالرقبة على الإنسان لوجود مناسبة لتلائم هذا التعبير في قضية التحرير، غير أن الحقيقة هي ظاهر اللفظ والمجاز خروج عن الظاهر فلا يصار إليه إلا لقرينه حين يكون الحمل على الحقيقة ممثنا أو متعذرا كما هو معروف في أصول الفقه.

(١) انظر: تفسير الطبري ٣/٢٥٥

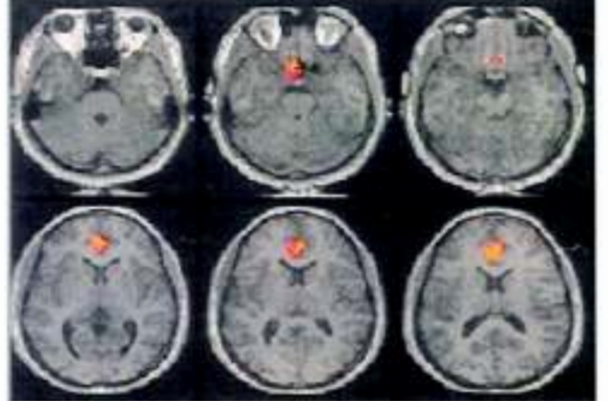
(٢) ميزان الأصول ص ٣٧٢

(٣) انظر: تفسير روح المعاني للألبوسي ٣٠/٣٢٥



## En flagrant délit

C'est grâce à l'imagerie par résonance magnétique fonctionnelle (IRMf) que l'on peut voir si une personne ment. Dans ce cas, une zone (en jaune), située dans le cortex frontal, connaît une suractivité singulière (ci-dessous, coupes horizontales du cerveau).



الشكل رقم (٢): مقاطع من الدماغ تظهر مركز الكذب في مقدمة الفص الامامي (الناسية) باللون البرتقالي عندما يبدأ الشخص الكذب وتشخيصه بالتصوير الرنين المغناطيسي الوظيفي f-MRI

وانما توصلوا إلى ذلك باعتمادهم على النظر العقلي والتجربة باستعمال التقنيات الحديثة!

ولم ينظر الأطباء المسلمون سابقا إلى احتمال وجود حكمة مكتونة في وصف الناسية بالكذب والخطيئة، وليس الذراع والفخذ، واحتمال انه وصف حقيقي دعت إليه تلك الحكمة.

لو نظروا هذا النظر لكانوا أسبق من غيرهم إلى الكشف عن وظائف الدماغ. فالذي حصل كما في هذا المثال، وكثير من أمثاله، هو أنه بعد أن تظهر الكشوف العلمية في الغرب غير المسلم يقول المسلمون إن تلك الكشوف قد أشار إليها القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا!! وهذا وجه من الإعجاز بلا شك! ولكن الاقتصار عليه بعد في رأينا خلفا في دراسة القرآن! فالمطلوب من الباحث المسلم أن ينظر في القرآن الكريم كمفتاح للسبق إلى كشوف جديدة، وأن ينظر في آيات العلوم الكونية كما نظر الفقهاء الأوائل في آيات الأحكام الفقهية.

فإنهم جاءوا بكل وجه محتمل في تفسير الآية الواحدة، واحتجوا لكل وجه بما يمكن من حجج، واستعانوا بأدلة النقل والعقل لتغليب

أصح الوجوه، بحيث أن الفقيه يعجب اليوم بما تركه الأوائل رحمهم الله من بحوث واسعة في تفسير كل آية من آيات الأحكام. وآيات القرآن العظيم في الطب والفلك وسائر العلوم لا يد أن يمثل يؤكد هذا النظر بل تقطع بصحته كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣). يقول المفسر الرازي: (يعني هو ضرب للناس أمثالا وحقيقتها وما منها من فوائد بأسرها فلا يدرسها إلا العلماء) تفسير الرازي ٧١/١٣. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارَعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد: ٣١)

إن هذه الآية الكريمة تثير الناظر وتحركه للبحث في هذه الحقائق العلمية حيث أن القرآن كنز للعلوم ويهدي للتي هي أقوم. إذن يمكننا إيجاز الأهداف من تفسير الآيات والأحاديث الكونية بالأهداف الثلاثة الآتية:

- ١- خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في مجال العلوم الطبية والكونية من خلال التفسير العلمي.
- ٢- إمكانية الاستفادة من العلوم الموجودة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتوظيفها لفائدة البشرية.
- ٣- الدعوة إلى الله وكتابه المجيد عن طريق العلم.

وأما عن وسائل تحقيق تلك الأهداف فيمكننا إجمالها بما يلي: إتقان اللغة العربية كونها لغة القرآن ولغة العلم (اللغة الكونية) وتسهيل تعلمها وإتقانها للمسلمين من العرب وغيرهم وبالوسائل المناسبة لمتطلبات العصر قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)

الإحاطة والإلمام بالعلوم الكونية والتجريبية بكافة تخصصاتها العلمية. ومحاولة الحصول على كافة التقنيات ووسائل المعارف الحديثة - الإفادة من الإمكانيات المتاحة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث لتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه - تأسيس مراكز أبحاث خاصة بموضوعات الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنة والتي تعنى بالنواحي المعملية والتطبيقية - تدريس مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المدارس والجامعات (حسب تخصصاتها) وتشجيع الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في تناول موضوعاتها.